مصر من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠

حكم الثوار : انحراف الثورة وعجز القوة

كفاح مصر من أجل البقاء بعد هزيمة ١٩٦٧

www.anwarsadat.org

بخروج الملك فاروق من مصر يـــوم ٢٦ يوليـــو نجحـــت المرحلة الأولى من مراحل الثورة ، وبدا التفكير لتغير هيكل المجتمع ، وتركزت السلطة كاملة فى أيدى من قاموا بالثورة فى سنوات الانتقال ما بين ١٩٥٣ و ١٩٥٦.. وبالرغم من أن هذه الفترة كانت مليئة بالأحداث الهامـــة التـــى يمكـــن اعتبارها نقط تحـــول فـــى تـــاريخ مـــصر والثـــورة إلا أن الصراعات على السلطة داخل مجلس قيادة الثـــورة والتـــى بدأت منذ قيامها كانت قد بلغت حدا كبيرا، فلقد كانت للحكـــم بريقا خلب لب الثوار ولعب برؤوسهم .

كان لهذا النزاع الداخلى والمعارك الدائرة بـــين أعـــضاء مجلس القيادة أثره العميق فى نفسية المناضل .. ماذا كانت الثورة بالنسبة للسادات ؟ .. لقد كانت ثرة كفاح عمر بأكمله فمنذ أن كان يستمع إلى موال زهران فى ميت ابو الكـــوم.. وأثناء الاعتقال .. وبعد الفصل من القوات المسلحة وخلال سنوات السجن والجوع والتشريد.. عمر جيل بأكلمـــه مـــن الكفاح والحرمان عانى خلاله مرارة الأمل واللهفة والإحباط فى سبيل تحقيق الرسالة، وشارك بالفعل فى قيـــام الثـــورة

ونجاحها.. فماذا يريد بعد ذلك ، وأى شىء يهم ا.. من هنا ظل الرجل بمنأى عن هذا النزاع.. أى الصراع أو الرغبة فى السلطة أو المزاحمة على المناصب ، وكان ابتعاده ترفعا لا عجزا.. وامتلاء بذاته لا خواء ولا خوفا .. بل حرصا على الثورة التى حققت حلم حياته وأمل مصر والمصريين .

حاول الرجل ان أن يذيب ذاته فى ذات أعضاء مجلس القيادة مهتديا بالقيم والمثل العليا التى نشا عليها ، يراقبهم من بعد، فإذا قام خلاف بينهم حاول الإصلاح ، وإذا لم يكن هناك خلاف فكل شىء يتساوى عنده مع أى شىء ، لقد اكتشف ذاته داخل الزنزانة رقم ٥٤ فى سجن مصر العمومى .. ومن يومها عرف أن نفسه اكبر من كل المراكز والمناصب والألقاب.. أن ليلة ٢٢ -٢٣ يوليو قد حققت كل أماله فوجد فيها نفسه.. واذا ما وجد الإنسان نفسه فماذا يريد من الحياة بعد ذلك .

ضاق السادات بما شهده . من صراعات عل مدى أربع سنوات كانت حملا ثقيلا ناءت تحته نفسه حتى كادت تتحطم .. فحيث لا بوجد الحب لا مكان له على الإطلاق .. فتقدم

خلال هذه الفترة باستقالتين وكلاها احتجاج صريح على جو الصراعات الذى كان يسود المجلس ، وهما فى نفس الوقت دعوة لا نقلى صراحة عن تصحيح مسار الثورة بعد أن بدأت الأحقاد تعصف بها وتحرفها عن أهدافها للتى قامت من اجل تحقيقها، وبدأت نشوة الحكم تلعب برؤوس الأعضاء فقسموا البلاد إلى مناطق نفوذ لهم ولمن يلتف حولهم من أقارب وأصدقاء ، وتغلبت العوامل البشرية على المثالية التى بدأت بها الثورة فحجبت الرؤيا حتى عن ذواتهم .

وقبل أن ينتهى مجلس قيادة الثورة فى أوائل ١٩٥٦ كان الشعور بالخوف قد عم البلاد.. وهذا ابشع ما يمكن أن يصيب الإنسان.. فالخوف يقتل الشخصية ويشل الإرادة ويمسخ تصرفات البشر.

وبانتخاب عبد الناصر رئيسا للجمهورية فى يونيو ١٩٥٦ حل مجلس قيادة الثورة ، واصبح هو المسئول الأول والأخير عن مصر سواء من ناحية السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية .

كانت ثورة يوليو عملاقة فى إنجازاتها فى الخمسينات بقراراتها التاريخية ، ومشروعاتها الضخمة، والتغيرات

العميقة التى أحدثتها فى هيكل البناء الاجتماعى ، اذ حررت البلاد من المستعمرين وخلصت مصر من الإقطاعيين والحزبيين ، وأعلنت تأميم القناة وبناء السد العالى وتمصير الاقتصاد المصرى .

وبانتهاء الخمسينات ودخول إلى الستينات بدأت الثورة فترة المعاناة والآلام والهزائم والنكسات ..

فعلى المستوى الخارجى.. بدأت أمريكا بعد حرب ٥٦ جهودها للقضاء على عبد الناصر وعزل مصر تمهيدا للإجهاز عليها.. لم ينتهز الرئيس الراحل فرصة عدوان ١٩٥٦ لتوطيد العلاقات بين مصر وأمريكا ولو من باب ضرب استراتيجية إسرائيل التى كانت تسعى الى "أن تكون مصر على خلاف مع أمريكا " ، ولكنه بدلا من أن يفعل ذلك فعل العكس تماما، فنجده بعد العدوان يشيد بالإنذار الروسى وينسب إلى السوفييت كل شىء ويهمل الإشارة إلى قرار ايزنهاور بالانسحاب رغم ما فى هذا من مجافاة للحقيقة.

وعلى الطرف الأخر دأب الاتحاد السوفييتى أن نحارب معركته فئ كل مكان ، يعطينا السلاح ويأخذ ثمنه دون أن

يخسر شيئا- بل وكما نبين فما بعد كـــان هـــو الـــرابح أولا وأخيرا- فلقد كانت خطتهم أن يسدوا رمقنا بالقدر الذى يكفل لهم الوصاية ويحقق لهم البقاء فى المنطقـــة ، تعمـــدوا أن يظلوا هم سادة الموقف يمنحون ويمنعون كمـــا يـــشاءون ، هدفوا دائما وفى كل الظروف أن يزيدوا الموقـــف ارتباكـــا ولكن الأهم من هذا أن يكون التوقيت فى أيديهم هـــم حتـــى تكون لهم السيطرة.. كم حاول عبد الناصر إقناع خروشوف بنجدة الثورة العراقية سنة ١٩٥٨ ولكن عبثا ذهبـــت كـــل محاولاته.. فقد رفـــض خروشـــوف تقـــديم أى نـــوع مـــن المساعدة.. نفس ما حدث سنة ١٩٥٦ عندما حاول شـــكرى القوتلى حث السوفييت على مساعدتنا ضد العدوان الثلاثى ، ولكنهم تخاذلوا تخاذلا تاما.. وهذا ما جعل السادات منذ تلك اللحظة يؤمن بان" من يتغطى بالسوفييت فهو دائما مكشوف"

أما على المستوى الداخلى.. فلقد بدأت الصراعات تطفـــو على السطح فيما بين أعضاء ما كان يسمى بمجلس الثـــورة الذين اتخذوا من تفكك الوحدة مع سوريا شماتة كبيرة فـــى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .. اما على المـــستوى الشعبى فقد بدأت الناس تململ ونتساءل: لماذا حدث؟!

قد سباته بفترة وجيزة القوانين الاشتراكية.. تلك القوانين التى صدرت من اجل مصلحة الجماهير، ولكن مجموع الشعب كان ما زال يفتقد شيئا هاما فى حياته.. وهو الحرية.. فعندما لا يكون الإنسان آمنا على نفسه لا يمكن أن يعوضه شيء آخر، نسى عبد الناصر أنه فى ضمير كل مواطن- حتى فى الطبقات التى كان يعتقد أنه يخدمها- حقيقة أساسية تطغى على كل حقيقة أخرى.. وهى الإحساس بالحاجة إلى الحرية والأمن .

فى أعقاب الانفصال كانت البلاد ممزقة نتيجة لكبت الحريات وعدم وجود الديموقراطية بأى شكل من الأشكال.. ولقد سورت تساؤلات الناس إلى عبد الناصر على أنها ثورة مضادة وعليه بدأ فرض الحراسات والمصادرة والاعتقال ومنع النشاط الخاص، ثم كانت لجنة تصفية الإقطاع التى كانت تمثل قمة الكبت والإرهاب والاذلال، وكان هذا هو التطبيق الفعلى لامتهان كرامة الإنسان .

إن اكبر خطا ارتكب فى حق الإنسان المصرى كان هو زرع الخوف.. فبدلا من إن نبنى الإنسان اصبح كل همنا إن

نخيفه.. والخوف هو اخطر ما يهدم كيان الفرد أو الـــشعب، فلقد كانت أرزاق الناس كلها ملكا للحكام إن شاء مـــنح وإن شاء منع ، وكان المنع مصحوبا فى اغلب الاحيان بمصادرة حرية الفرد واعتقاله ثم فصل جميع أهله من وظائفهم مـــع اتخاذ إجراءات ضدهم.

وهكذا تحول الناس إلى " مساخيط " أو اصبحوا دمى فى أيدى حكامهم يفعلون بهم ما يشاؤون .. فلم يعد مـــسموحا للناس بالسفر أو بإن يقولوا كلمة تختلف عما يقوله الحكـــام والا اعتقلوا أو صودروا فى أرزاقهم.. ومن هنا ازداد الناس سلبية فقد اصبح الأمان لهم إن يسيروا بجإنـــب الحـــائط لا شإن لهم باحد ولا باى شىء حولهم ، وكـــانهم اصـــبحوا لا يبصرون ولا يسمعون ولا ينطقون.. من اجـــل ذلـــك يقـــول السادات وما زال يقول إنه بقدر ما كانت ثـــورة ٢٣ يوليـــو عملاقة فى إنجازاتها فإنها كانت ايضا عملاقة فى اخطائها ، ومع الزمن إنتهت الإنجازات أو ذهبت أو اصبحت امرا واقعا مجردا من الهالة ولم يبق من الثورة غيـــر بقعـــة ســـوداء رهيبة تشيع الحقد والخوف بين الناس ، ولكنهم لا يملكون منها فرارا .

وعلى الجانب الآخر اشتد الصراع بين من كانت فى ايديهم السلطة أو الحكم ، وازداد اتساعا مع الايـــام وازداد معـــه التمزق حيث اصبح الحقد دفينا ، بين عبد الناصر و عامر ، وعامر وحده والباقين ، وعبد الناصر وحده والباقين .

إنصرف عامر إلى تثبيت مركزه ليس فقط داخـــل القـــوات المسلحة بل فى البلد كلها ، وعن طريـــق لجنـــة الإقطـــاع والتعلل بالثورة المضادة استطاع إن يضرب من يـــشاء وإن يعزل أو يبقى من يشاء مـــن مؤســـسات الدولـــة وجميـــع مناصبها.. وتراكمت السلطات فى يد عامر حتى اصبح الامر الناهى والمتحكم فى مصير الناس وفى كل ما يتعلق بالبلـــد من احداث، وزادت هذه التصرفات من سخط النـــاس عليـــه وتبرمهم بالنظام اجمعه .

وهكذا دخلت مصر اسوا دوامة يمكن إن تدخلها، واصبح هذا الموقف هو المقدمة الأولى لهزيمة ١٩٦٧.

دخلنا سنة ٦٧ والكابة تخيم على مصر، فالبلاد مفلـــسة ، لإن الخطة طموحة ولا يوجـــد المـــال الكـــافى لتمويلهـــا ، ومشاكل الخدمات التى اجل حلها منذ سنة ٦٢ تتراكم يومـــا بعد يوم، واخطر من هذا كله الصراعات التى بلغت اشـــدها

بين من يحكمون من رجال الثورة واذنابهم، وضرأوة مراكز القوى وحجرهم على الحريات وإجراءات السجن والتعذيب والاهإنات، واحتكارهم لجميع الامتيازات.. ووصلت حالة البلاد الداخلية إلى حالة يرثى لها.. وفى كلمة واحدة.. امتهإن ومهإنة .

بدات حرب ٦٧ وإنتهت صباح يوم الاثنين ٥ يونيو المشئوم.. ووقعت الهزيمة.. وزاغت العيون وكادت إن تقف القلوب.. وبمجرد إن إنتهى عبد الناصر من القاء خطابه القصير الذى اعلن فيه تنحيه وعهد، برئاسة الدولة إلى زكريا محى الدين ، كانت شوارع القاهرة قد امتلات بجماهير الشعب بحيث لم يعد . هناك موضع لقدم- نساء ورجال واطفال من جميع الطبقات ومختلف نواحى الحياة.. وحدت بينهم المحنة فاصبحوا كتلة واحدة تتحرك بايقاع واحد وتتكلم بلسإن واحد.. الكل يطالبون ببقاء عبد الناصر.. فالكارثة عظيمة.. اذ فجاة عاد الزمن إلى الوراء فى غمضة عين .. فبدلا من الاستعمار الإنجليزى سوف يكون هناك استعمار امريكى.. هكذا أوحى خطاب عبد الناصر إلى

الشعب.. فحرك مواجعه والهب شعوره واعـــاد اليـــه ارادة الرفض التى هى من امضى اسلحته عبر الاف السنين .. لقد ضربت قواته المسلحة ولكن ارادة الشعب لم ولن تضرب .

سبع عشرة ساعة كاملة وجموع الشعب ترفض إن تتـــرك مكانها فى شوارع القاهرة ، وقد نسيت كل شىء.. الطعـــام والشراب والمبيت والمأوى .. نسيت كـــل شـــىء الا شـــيئا واحدا فقط.. هو التمسك بوحـــدتها وتحـــدى ارادة الدولـــة العظمى التى نريد إن تتحكم فيها .

إن خروج الشعب فى ٩ و ١٠ يونيو واصراره على عودة عبد الناصر إلى الحكم لم يكن فى الواقع الا صورة من صور الكفاح من اجل البقاء .. بقـــاء مـــصر و الارض والـــشعب والارادة..

يخطئ من يظن إن شعب مصر يمكن إن يموت فهو عملاق دائما ، قد يتحمل اشد أنواع الأذى من الداخل والخارج ولكن هذا الاذى لا ينال منه أبدا .. فبمجرد إن ينكشف عنه الغبار تجده عملاقا كما هو.. قد تجده مجروحا ينزف دما.. ولكـــن

يعلم إنه سياتى الوقت الذى يقف فيه النزيف ويضمد جراحه..

هذا هو الشعب المصرى الذى يؤمن به الرئيس السادات ويدعو الله إن يمكنه من إن يزيل عن طريقه جميع المعوقات ويجعل الكلمة الأولى والاخيرة له ..وعند ذلك سوف يحقق المعجزات .

لم تكن الفترة ما بين يونيو ٦٧ وحتى وفاة عبد الناصر فى سبتمبر ٧٠ غنية بالاحداث ، ولكنها كانت فترة معإناة رهيبة لم تشهد مصر لها مثيلا، فقد كانت المعاناة وليدة الإحباط على المستوى القومى والسياسى والعسكرى مما جعل الكفاح من اجل البقاء السمة المميزة لهذه الفترة فليس مثل الاحساس بالاحباط شىء يحفز الإنسان إلى إن يكافح من اجل البقاء .

صحيح إن هذا الكفاح اخذ اشكالا متعددة ولكنها كانت تهدف جميعا إلى شىء واحد وهو تخطى العقبات التى تعترضها حتى تسترد كرامتها ونستعيد وجودها فنبقى .

وكثيرا ما نجد هذه المحأولات تتشابك وتتصارع بحيث يصعب تمييز خطوطها بعضها عن بعض .. فمثلا نجد إن

كفاح عبد الناصر من اجل البقاء بطلا عظيما، يتشابك مع الرغبة فى اعادة بناء القوات المسلحة ، ويتشابك بشكل أو باخر مع تعمد السوفييت إن يظلوا هم سادة الموقف يمنحون ويمنعون كما يشاؤون .

وبصفة عامة يمكن إن نميز هذه الفترة الإنتقالية الصور الاتية:

اعادة بناء القوات المسلحة.

كم كانت سعادة السادات الذى نشا على حب مصر والايمإن المطلق بالإنسان المصرى حينما تاكد ايمإنه وعرف الحقيقة بإن قواتنا المسلحة التى تعرضت لحملة تشكيك ضارية من العدو والصديق على السواء ، ذهبت ضحية لهزيمة يونيو ٦٧ ولم تكن أبدا احد اسبابها.. والمسالة كلها كانت اهمال من القيادة .. يقول الرجل تيقنت إننى ما زلت بين اهلى فى مصر .. الارض الطيبة التى لا وجود لى بدونها .. وإن واجبى فى الحياة هو الكفاح من اجل بقائها.. ليس فقط لإنها بلدى.. بل لإنها فعلا تستحق البقاء " .

كان الموقف العربى مشرفا للغاية كما تمثل فى صورة مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى الخرطوم حيث كانت ارادة الامة

العربية كلها الصمود.. وكانت هذه هى المرة الأولى فى التاريخ الحديث الذى تجتمع فيه الامة العربية على الكفاح من اجل البقاء .

من أوضح مظاهر الصراع من اجل البقاء فى هذه الفترة .. صراع عبد الناصر مع السوفييت من اجل بقاء مصر.. وصراع السوفييت مع عبد الناصر من اجل بقائهم فى المنطقة.. اذ لم يكن فى نيتهم إن تكون هناك معركة ثانية وإنما كانوا يجاملون عبد الناصر لوقفته ضد أمريكا والامبريالية، ويحرصون على بقاء الوجود السوفييتى فى المنطقة هذا كل ما فى الامر ..

ومن هنا كان تقييم عبد الناصر لموقف السوفييت حينئذ إنهم " حالة ميئوس منها " hopeless case

كما إن الصراع بين الاصدقاء من اجل البقاء إنتهى بماساة عامر، ومحاكمة اعوإنه ، كما كانت حرب الاستنزاف صورة اخرى من صور فترة الإنتقال .

ومن احداث هذه الفترة التى كانت ذات اثر بعيد فيما بعد تعيين السادات نائبا لرئيس الجمهورية.. فالرجل منذ إن كان عضوا فى مجلس قيادة الثورة أو سكرتيرا للمؤتمر الاسلامى

أو رئيس تحرير جريـــدة الجمهوريـــة أو وكـــيلا لمجلـــس الامـــــة أو رئيس لمجلس الامـــة لم يقم بينه وبـــين عبـــد الناصر معركة فى يوم ما من اجل منصب أو نفوذ.

وفى نهاية هذه الفترة تعرض عبد الناصر لامراض خطيـــرة مبرحة ، و تدهورت صحته ، وكان موته فاجعـــة مفاجئـــة للجميع .

www.anwarsadat.org